شهرية المسرح

لن تقع حرب طروادة تأليف جان جيرودو[1]

تدور هذه المسرحية على مقدمات حرب طروادة التى خلدها أعظم شعراء الملاحم هوميروس فى الياذته منذ نحو ثلاثين قرناً .

وقصة حرب طروادة هى قصة كل حرب على الرغم مما نسجته الأساطير وأبدعه الخيال فى حكاية أسبابها وملابساتها . فما يعدو منشؤها قيام دولة قوية الشوكة عزيزة الجانب واسعة السلطان بأزاء يونان على الشاطئ الآسيوى المقابل من بحر إيجه ، وقوع عاصمتها طروادة على مدخل الدردنيل بحيث تسيطر على طرق التجارة بين بلاد بحر إيجه وبلاد البحر الأسود .

ولقد كتب المؤلف العصرى جان جيرودو مسرحيته عام ١٩٣٥ فى إبان تلك الوعكة النفسية المتخلفة من عقابيل الحرب العالمية الأولى وحالة التوتر العصبى المؤذنة بنشوب الحرب العالمية الثانية . فجاءت قصته عن طروادة بمناظرها وملابسها وأسماء أبطالها من قصص العصر القديم ، ولكنها بموضوعها وفحواها وأفكارها قصة العصور كلها . وهو يصور لنا فيها ما تضطرب به هذه الفترات من الصراع بين أنصار السلم الذين يغضون على القذى من أجله و يروضون أنفسهم على احتمال كل مكروه فى سبيله ، وبين دعاة الحرب الذين يحرضون على إضرام نارها وخوض غمارها ، ولو توسلوا إلى ذلك بالتهويل و إشاعة الأباطيل .

ولقد شاءت عبقرية جيرودو أن يكون داعية السلم فى تلك الفترة قائداً قديما من مساعير الحرب ، هكتور ، بطل طروادة الأكبر وقد عاد إلى المدينة منتصراً بعد حرب ضروس دامية . لقد كره هكتور الحرب كما يكره المرء صديقاً له ظهر مينه وافتضح زغله وغشه .

على أن هكتور لا يكاد يعود إلى أسوار طروادة بجنده الظافرين المتعبين حتى يجد المدينة فى هرج ولغط . لقد اختطف أخوه الأصغر باريس زوجة

(١) Jean Giraudoux, *La Guerre de Troie n'aura pas lieu*

منلاس ملك أسبرطة ، هيلين الحسناء الإغريقية ، آية الجمال وصورة الكمال ، وأنزلها فى قصر أبيه الملك الشيخ بريام . فاذا أهل طروادة بها معجبون ، شبابهم وشيوخهم أجمعون ، قد راعهم ما رأوا من كمال جمالها ، فعلقت قلوبهم بها وانطوت نفوسهم على حبها ، وبلغ إعجابهم حد العبادة وهيامهم حد الجنون . وتراءت إلى طروادة الأنباء بأن الإغريق ثائرون لكرامتهم التى امتهنت ، وحرماتهم التى انتهكت ، وأنهم يتذاكرون فى أخذ الثأر ويفكرون فى حملة تأديبية لمقابلة الشر بالشر . فلا حديث فى طروادة إلا عن الحرب المنتظرة ولم تكد جيوش طروادة تستقر فى أسوارها وتستجم من مشاق الحرب السابقة وويلاتها ، ولما تجف الدموع فى عيون الطرواديات على من ثكلن فيها من إخوه وولد . ويتفق حديث الحرب هذا فى أبهى أيام الربيع والمدينة مخضرة الجناب ، مزدهرة الوهاد والنجاد ، تسبح فى غمرة من الضياء والبهاء توحى بحياة الدعة والقناعة واجتلاء الجمال والتملى بالسعادة ، كما عبرت عن ذلك أندروماك زوجة هكتور أبلغ التعبير فى قولها لأخته كاساندر المتكهنة :

أندروماك : « عجباً يا كاساندر ! لا أدرى وايم الحق كيف تستطيعين الكلام عن الحرب فى يوم كهذا . إن السعادة تتنزل فيه على الدنيا ! »

كاساندر : « مثل نزول الثلج تماماً » .

أندروماك : « السعادة والجمال أيضاً . أنظرى إلى هذه الشمس . إن فى أكناف طروادة منها أطباقاً من اللؤلؤ لا يجتمع مثلها فى قاع البحار . ولو قدر للناس أن يهتدوا يوماً من الأيام إلى طريق الحياة فى سلام ، فهذا هو اليوم » .

وفى هذا اليوم ، وتحت تأثير الظروف الملابسة ولا سيما إذا أدخلنا فى الحساب تقدم هكتور فى العمر وعلو سنه ، ووضعنا فى الميزان الجنين الذى تؤذن بوضعه امرأته — نقول فى هذا اليوم وتحت تأثير هذه الملابسات أظهر هكتور العزيمة الصادقة التى لا متزحزح عنها ولا متحول على إغلاق أبواب الحرب .

وليس لدينا فى صفة هذا التنكر للحرب أبلغ من قوله فى مناجاة له مع امرأته : « لقد كنت فيما مضى أتمثل فى الذين أصمد إلى قتلهم أضداداً على النقيض منى ، أما فى المرة الأخيرة فكنت كأنى عاكف على مرآة . كان الموت الذى أنا قادم على إنزاله

بالشخص الماثل بين يدى .يبدو لى كأنه ضرب من الانتحار أنا قادم عليه » .

وهكذا بلغت كراهة هكتور للحرب ونفوره منها وتفتح ذهنه إلى أنها مسبة للإنسانية وكفران بنعمة الحياة .

وكان على هكتور لكى يقر السلام أن يزيل علة الخصام بين قومه الطرواديين وبين الإغريق الناقمين لاختطاف الشاب الأمير الطروادى لزوجة الأمير الأسبارطى .

فصرف هكتور إلى الأمر همته ، واستفرغ وسعه واستنفد طاقته ، حتى غلبت إرادته على إرادة باريس أخيه، وعلى إرادة أبيه ، وعلى الكثرة الساحقة من شيوخ طروادة المعجبين بروعة جمال هيلين ، ونزلت هيلين نفسها على إرادته ، وارتضت العودة إلى يونان مع رسول اليونانيين .

وهنا تتنفس الصعداء مستبشرين . لقد بطلت أسباب العداوة ، فلا جرم إذا قلنا مع القائل : « لن تقع حرب طروادة » .

ولكن حرب طروادة — على الرغم من ذلك جميعه — قد وقعت . أجل ! وقعت ودامت — كما روى لنا المؤرخ لأسبق — عشر سنوات ، واشترك فيها مع اليونان أحلاف اليونان ، يناصبهم مع الطرواديين أقوام من سائر الألوان .

فأية إرادة دفعتهم إلى الحرب إذن ؟

أية إرادة تدفع الأمم أجمعين إلى مجازر الحرب طوال هذه السنين منذ القدم إلى هذا الزمن الذى نحن فيه ؟

لقد جعل جيرودو هذه الإرادة فوق المؤامرات الحزبية ، وفوق الحكمة السياسية ، وفوق النظريات المثالية ، وفوق مشيئة البشر كافة . إنها المرض المستكن ، إنها الغريزة العمياء ، مرض الحرب وغريزة الحرب . وإن شئت العبارة عنها بكلمة جامعة من لغة المأساة الفاجعة فهى « القدر » . هى إرادة القدر .

ولقد كان هكتور بطل الحرب الداعى إلى حقن الدماء يحس فى إبان دعوته إلى السلم وتصميمه عليه بتلك الإرادة الخفية العليا القاضية بالحرب :

« لو أن الأمهات جميعهن بترن الأصبع السبابة اليمنى من أكف أبنائهن لرأيت جيوش العالمين تقاتل من غير الأصبع السبابة . . . ولو أنهن بترن أرجلهم اليمنى ، لسعت الجيوش بعضها إلى بعض كلٌّ على رجل واحدة . . . ولو أنهن فقأن عيونهم فصاروا عمياناً ، لما عدمت الدنيا جيوشاً ، ولرأيتهم يخبطون

خبط العشواء فى حومة الوغى يتحسس بعضهم مقاتل بعض » .

ومع إحساس هكتور بقوة القدر التى يصطدم بها فانه لم يضعف . واستقبل رسل اليونان وعلى رأسهم عوليس أمير إيتاك الداهية . وسكت القائد العظيم على الوعيد ، وصبر على الإهانة حتى الصفع ، وهانت عليه فى سبيل السلام سابقة أمجاده وسمعته بين قومه وكرامة شخصه وعزة نفسه .

وفى اللحظة التى تهيأ فيها عوليس للعودة إلى مركبه ومعه هيلين ؛ فى هذه اللحظة التى ستنتهى بها القصة نهاية سعيدة موفقة ، شاء القدر أن تقع الواقعة ، فاندفع إياس فى سكره وضم بيديه الغليظتين إلى صدره فى عربدة ماجنة أندروماك زوجة هكتور . وهنا رفع هكتور حربته . وإنه لا شك قاتل بها إياس ، ولتقع من بعدها حرب طروادة .

هذا هو المنتظر ، وفيه ولا ريب تصوير رائع لقدرة القدر . ولكن المؤلف لا يقنع بذلك ، إنه يريد أكثر من ذلك .

فقد ترك إياس يهرب . فانطلق لسان الشاعر المتحمس الشيخ ديموكوس يذيع ما وقع من عار ، ويستنفر إلى درك الثار . فيهوى هكتور إليه بحربته المرفوعة ، فيهوى الشاعر إلى الأرض صارخاً . فاذا بادر أهل طروادة إليه يستطلعونه ، ألقى إليهم الكذبة التى جرت وراءها النكبة : ألقى إليهم وهو يجود بنفسه أن القاتل إياس اليونانى ، فيلحق منهم بإياس من يقتلونه ، وتقع حرب طروادة .

وبذلك يبلغ جيرودو ما أراده من تصوير القدر فى أفظع صوره ، وهى صورة القادر الساخر .

فالرواية كما رأينا تعد بحق « أنشودة اليأس » على نحو ما وصفها بيير بريسون ، ولكنه مع ذلك يأس الشجاع لا تأنف منه الرجولة ولا تعافه النفس . ثم هى كسائر مؤلفات جيرودو قوية البيان ، أنيقة الوشى ، بارعة العبارات ، طريفة الأخيلة ، غنية بالأفكار وبدائع المعانى وبالتحليل النفسى وبخاصة للنساء ، مطبوعة بذلك الطابع الرائع من السخر الرهيب الجاد .

ولقد اضطلعت الفرقة الفرنسية التى تحيى الموسم التمثيلى الأجنبى بدار الأوبرا الملكية بتمثيل هذه المعانى الدقيقة والأفكار الرفيعة ، وتصوير هذا الفن الطريف البديع المبتكر للجمهور . وهى ولا وشك مهمة شاقة . ولكن الفرقة وفقت مع ذلك للاستيلاء على

مشاعر الكثرة من المتفرجين ، أما القلة التى لا تهتز للمعانى المجردة والمناظرات العالية فليس لهذه الفرقة ولا لغيرها من سبيل إلى إرضائها .

وقد اقتسم الأدوار النسوية فيما بينهم الأوانس والسيدات : ميشيل ألفا فى دور أندروماك الزوجة الفاضلة وقور الهيئة رصينة اللهجة ، وأليس سابرتش فى دور كاساندر المتكهنة بملامحها الحادة وجيدها المترفع ووقفتها المتصلبة القاسية، وجيزيل كاسادسى فى دور هيلين فى جمالها وسذاجة إحساسها واكتفائها بنفسها وقلة احتفالها بما حولها ، وماري لويز جودار فى دور هيكوبا زوجة الشيخ بريام ملك طروادة فى حنكتها وخبرتها بطبائع النساء والرجال وصراحتها فى تسمية الأشياء بأسمائها وعرضها على حقيقتها . وأما شخصيات الرجال فقد كان أجذبهم للأنظار الفتى (جاك فرانسو) العارى البدن حتى حقويه فى جمال محاسره واعتدال قوامه وحركة الدلال فى مشيته وامتزاج التهور والانطباع فى لهجته ، و بريام (جان فرنييه) فى وقار شيخوخته وامتزاج البساطة والأبهة فى هندامه ، وديموكوس الشاعر الشيخ (جان بول مولينو) والمهندس (جان جاك ستين)، وتروبليس (أنطوان فليرى)، وعوليس (لوسيان باسكال) ، وفى وسط هؤلاء جميعاً وفى وسط الرواية كلها هكتور (جان مارشا) يدير الحركة من حوله فى يسر واقتدار .

ولقد صادف الاحتفال بتمثيل هذه الرواية الذكرى الثالثة لوفاة مؤلفها العظيم . ولعل الأكثرين كانوا يحسون وهم يصفقون للرواية أنهم يرسلون من الأرض المصرية تحية الصداقة والإعجاب خالصة زكية إلى ذلك الأديب المجاهد الراقد فى باريس رقدته الأبدية .

حمار بوريدان تأليف روبير دى فلير و ج . ا . كيافيه (١)

هذه طرفة مستملحة لطيفة من نوع المسرحية الباريسية الخفيفة . ولقد حرص المؤلفان فيها قبل كل شئ على ابتسامة المتفرجين ، على ضحكهم ، على بهجتهم بالضحك العالى ، على قهقهتهم الصاخبة ، فى فترات متعاقبة متقاربة .

فالرواية — مع اشتمالها على الكثير

(١) Robert de Flers et G.A. Caillavet, *L'âne de Buridan*

من صدق الملاحظة وعمق التحليل — قائمة على روح الفكاهة ، روح الفكاهة فيما يدور من حديث ، وفيما يلفق من مواقف ، وفيما يعرض من شخصيات .

فهذا بطل القصة جورج بولان له عشيقات ثلاث . ولا غرو ، فهو شاب وسيم الطلعة أنيق الهندام ميسور الحال ، ثم هو إلى ذلك جميعه وفوق ذلك جميعه ، قد رزق الموهبة التى لا تضارع فى اجتذاب النساء ، إذ كان محدود الأفق قليل الذكاء .

واتفق أن استأذن خادمه فى الغيبة بضعة أيام ، وأقام قريباً له فى موضعه ، فأخطأ لجهله وقرب عهده بخدمة السيد فى تبليغ مواعيده الغرامية ، فاذا العشيقات الثلاث يوافينه فى الدار فى يوم واحد ، وساعة واحدة .

فلم يجد له مخلصاً إلا الهرب وترك لهن التصرف وتسوية حسابهن بعضهن مع بعض .

وقدم جورج على صديقه لوسيان دى فرسان فى بلدة بعيدة عن باريس ، وكانت للصديق زوجة جميلة أوديت ، وخليلة ظريفة فرناند شانتال ، وفتاة يتيمة مشبوبة العاطفة يكفلها وهى ميشلين ابنة صاحب له كان من الرسامين .

فاذا هذا الهارب من العشيقات الثلاث يشتبك فى هوى أولئك الغوانى الثلاث .

ويتبين من تطورات القصة ومجرى وقائعها أن صاحبنا مخلص فى حبه للنساء ، ولكنه من ذوى الطبائع المترددة الحائرة لا يقطع برأى ولا يأخذ بعزم فى إيثار امرأة على أخرى ، ولا فى إيثار لفيفة تبغ من صنف على لفيفة من صنف آخر .

ومن ثمة تسمية الرواية بحمار بوريدان الذى أثر أنا انقطع عنه الماء والعلف مدة ، ثم جاءوه بالاثنين معاً ، فوقف حمار بوريدان موقف الحيران ، لا يدرى بأيهما يبدأ وهو الجوعان العطشان وما زال المسكين فى حيرته حتى نفق وأدركته المنية فى وقفته .

على أن جورج كان أسعد فى الختام من حمار بوريدان . والفضل فى ذلك راجع إلى صاحبه لوسيان دى فرسان الذى أعان على زواجه بالفتاة ميشيلين ، فأفاد من ذلك الزواج أن حفظ على نفسه زوجته وعشيقته ، كما أقام بذلك الزواج صرح السعادة لصديقه المتخبط فى حيرته وللفتاة المحبة المشمولة بعطفه وكفالته .

وكان جان مارشا فى دور جورج متفززاً بالحياة فى مرحه ، خفيف الظل

فى مجانته ، مضحكا فى ربكته ، مؤثراً فى حيرته . وكان باسكال فى دور الصديق مثال الرجل السياسى فى رصانته وكياسته فى أدق المواقف وأعقدها . كما أجادت جيزيل كاسادسى تمثيل الفتاة ميشلين المحبة الغضوب ، العنيدة العروب . ولا حاجة إلى ذكر إجادات ماريون دلبو فى تمثيل المرأة الماجنة ؛ فقد أقامت على ذلك الدليل أكثر من مرة .

عبد الرحمن صدقى